الملكات في الاسلام

(تابع ما قبلهُ)

ملكات اتشين الاربع[1]

(٨) السلطانة صفية الدين تاج العالم من١٠٥٧ـ ١٠٨٦هـ = من١٦٤٧ـ ١٦٧٥ م
(٩) السلطانة تقية الدين نور العالم من١٠٨٦ـ ١٠٨٩هـ = من١٦٧٥ـ ١٦٧٨ م
(١٠) السلطانة عنايت شاه من١٠٨٩ـ ١٠٩٩هـ = من ١٦٧٨ـ ١٦٨٨ م
(١١) السلطانة كمالت شاه من١٠٩٩ـ ١١١١هـ = من ١٦٨٨ـ ١٦٩٩ م

لا يمكن المرء ادراك سرعة انتشار الاسلام الاَّ اذا ادرك تماماً الى اي حد بلغ ذلك الانتشار السريع العجيب . فن الاندلس غرباً الى الصين شرقاً ومن مجاهل افريقيا جنوباً الى اواسط روسيا وسيبريا شمالاً انتشر الاسلام بسرعة فائقة وظهرت الدول الاسلامية في كل هذه الجهات

ففي جزائر الهند الشرقية جزيرة كبيرة تدعى جزيرة سوماترا تابعة الان لهولندا مع ان مساحتها تقرب من مساحة فرنسا وثلاثة عشر ضعف مساحة هولندا التابعة لها. في شمال هذه الجزيرة ظهرت عدة دول اسلامية كما ظهرت عدة دول اسلامية ايضاً في جزيرة بورنيو وفي شبه جزيرة ملقا لا يزال بعضها موجوداً الى الآن . واهم الممالك التي ظهرت في جزيرة سوماترا المشار اليها مملكة اتشين واول من استقل بها علي مغيث شاه الذي ملك من سنة ١٥١٤ـ١٥٢٨م. واتسعت المملكة في عهد خلفهِ اسكندر مودا فلما مات خلفهُ قريبهُ اسكندر الثاني وهذا توفي ١٦٤١ م . وعند موتهِ اجمع الاتشينيون على تولية ارملتهِ السلطانة صفية الدين ولقبوها تاج العالم وهي ابنة السلطان اسكندر مودا اشد سلاطين هذه الدول . ولم تكد تجلس على سرير الملك حتى اظهرت من الفطنة والذكاء وحسن السياسة ما جعل الاتشينيين يضربون بها المثل واتسعت في ايامها مملكة اتشين حتى بلغت اكثر من نصف جزيرة سوماترا كلها وملكت من سنة

(1) Encyclopedia of Islam 1: 608; Encyclopedia Britannica (Acheen) and Universal Geography by Elisée Reclus 14:109.

١٦٤١ — ١٦٧٥ او نحو اربع وثلاثين سنة. وبعد موتها قرر الاتشينيون ان يولوا امرأة اخرى الملك تيمناً بما رأوه من الخير في ايام السلطانة صفية الدين فاجلسوا على سرير الملك السلطانة تقية الدين ولقبوها بنور العالم ولم تقل هذه الملكة عن سابقتها في حسن السياسة والادارة وتوفيت سنة ١٦٧٨ فولوا بعدها السلطانة عنايت شاه وملكت من سنة ١٦٧٨ — ١٦٨٨ م. ثم تولت الملك بعدها السلطانة كالت شاه من سنة ١٦٨٨ — ١٦٩٩ م. فما تقدم يتضح ان اربع ملكات ملكن بالتتابع مملكة اتشين هذه. وكانت ايامهن العصر الذهبي لهذه المملكة ومن بعدهن ابتدأت المملكة تقف تارة وتنحط اخرى حتى انتهتها هولندا لقمة غير سائغة بعد حروب شديدة

وكان لا يزال في اتشين كثيرون من العرب وبعضهم من السادات فساءهم ان تتولى امرأة بعد امرأة الملك في اتشين فثاروا الرعية على هذه البدعة واعلنوا الاحاديث النبوية الناهية عن ذلك واخيراً اتوا بفتوى من مكة بهذا الخصوص تمكنوا بها من خلع السلطانة كالت شاه سنة ١٦٩٩ م وولوا الملك احدهم الشريف جمال الدين. وهكذا انتهى ملك هذه الملكات العجيب

امبرات بهوبال الاربع

(١٢) الاولى قدسية بيكم (1)

من ١٢٣٤ — ١٢٥٣ هـ — من سنة ١٨١٩ — ١٨٣٧ م

تنقسم بلاد الهند في الوقت الحاضر الى قسمين. قسم يحكمهُ الانكليز مباشرة ومساحتهُ ٦١ في المئة من المجموع وسكانهُ ٧٨ في المئة. والقسم الآخر يحكمهُ امراء وطنيون لهم استقلال نوعي كثير او قل حسب الاتفاقات المعقودة بينهم وبين الانكليز وهذا القسم يعرف بالامارات الوطنية "The Native States of India" وهذه الامارات كثيرة العدد تبلغ ٦٩٣ امارة بعضها كبير مثل دولة «النظام» في حيدر اباد فان عدد سكانها يقرب من عدد سكان القطر المصري. والبعض صغير جداً لا يزيد عن قرية واحدة. وبين هذه الامارات الوطنية بضع عشرة امارة

(1) Imperial Gazette of India 2: 405; Encyclopedia of Islam 1: 711.

يحكمها عائلات اسلامية مثل امارات بالانبور ورامبور. ودولة النظام حيدراباد. وبهوبال واركوت وكورادى . ومولركوتلا. ورادهنبور. وجانجيرا. وجوناغار . وخيربور وقدنك وغيرها. ومن بين هذه الامارات امارة بهوبال التي نحن بصددها. هذه الامارة واقعة في مقاطعة مالوة وتابعة لوكالة الهند الوسطى وهي تقع بين ٢٢° ٣٢' و٢٣° ٤٦' من العرض الشمالي وبين ٧٦° ٢٥' و٧٨° ٥٠' من الطول الشرقي. وتبلغ مساحتها ٦٩٠ ميلاً مربعاً او نحو نصف المساحة المزروعة بالقطن المصري وعدد سكانها ٧٣٠٣٨٣ حسب آخر تعداد وهو احصاء سنة ١٩١١ (١)

كانت هذه الامارة مثل كثير غيرها تابعة لدولة المغول العظمى في دهلي يحكمها امراء يوليهم سلاطين المغول في دهلي الى ان توفي السلطان اورنك يزيد سنة ١١١٨ هـ = ١٧٠٧ م فسادت الفوضى بعد موته. فانتهز دوست محمد خان حاكم بهوبال الفرصة واعلن استقلاله سنة ١١٣٥ هـ = ١٧٢٣ م . ولم تشتهر هذه الامارة الا في ايام اميرها نذر محمد خان فانه لما رأى سرعة انتشار الحكم الانكليزي في الهند فضل ان يعقد مع الانكليز اتفاقاً يصون به استقلاله فعقد هذا الاتفاق سنة ١٨١٨ م . ولم يطل عمره بعد ذلك لانه قتل سنة ١٨١٩ م وعمره ثمان وعشرون سنة . ولم يخلف ولداً ذكراً بل ابنة اسمها سكندر بيكم . وكانت ارملته قدسية بيكم حينذاك لا يزيد عمرها عن تسع عشرة سنة فتقرر تعيينها وصية على ابنتها حتى تبلغ سن الرشد . فقامت الاميرة قدسية بيكم بادارة الحكومة اتم قيام . واظهرت من حسن السياسة ما جعل اسمها مشهوراً . وبقدر ما كانت هذه الاميرة لطيفة ورحيمة نحو جنودها وعمالها كانت شديدة الوطأة قاسية جداً على من يخالف احكام الشريعة

وقد اظهرت فطنة عظيمة في اختيار موظفي ديوانها . وفي سنة ١٨٣٥ م تزوجت ابنتها سكندر بيكم بابن عم لها يدعى الامير جهانكير محمد خان . وطلب من الاميرة قدسية بيكم ان تتنازل لهذا الاخير عن الامارة فلم تقبل . وعقب ذلك فتن طالت حتى تداخل الانكليز في الامر فتقرر تعيين الامير جهانكير محمد خان زوج سكندر بيكم اميراً على بهوبال وذلك سنة ١٨٣٧ م

(1) Whitaker's Almanack 1920 : 536.

(١٣) (الثانية) سكندر بيكم [1]

من ١٢٦٠ — ١٢٨٥ هـ = من ١٨٤٤ — ١٨٦٨

ولم تطل ايام الامير جهان كير محمد خان فانهُ توفي سنة ١٨٤٤ م فنودي بارملة سكندر بيكم حاكمة على بهوبال. وكانت هذه الاميرة مثل والدتها على جانب عظيم من الفطنة وحسن السياسة. ولا يمكن في هذه العجالة القصيرة ان اشرح بالتفصيل ما تم على يد هذه الاميرة من الاصلاح بل يكفي ان اقول انها تمكنت في مدة ست سنوات من ايفاء كل الديون التي على الامارة والغاء كثير من الضرائب التي كانت تثقل عاتق الاهالي

وقد قال عنها الكولونل ملسون (Malleson) « انها اظهرت نشاطاً وحدة ذهن وحسن ادارة لا تقل عما يظهرهُ احسن رجل سياسي مقتدر »

ولما حدثت الثورة الكبرى في الهند سنة ١٨٥٧ م رأت ببعد نظرها ان لا تشترك فيها مع ان رعاياها هاجوا عليها وطلبوا منها اعلان الجهاد على الانكليز. ولكنها استعملت الحزم الشديد حتى تمكنت من اخماد الثورة الفكرية. وزد على هذا كله انها عملت كل ما في وسعها لمساعدتهم واوصلت عدداً كبيراً منهم كانوا في خطر عظيم الى اقرب معسكر انكليزي وهم سالمون فحفظ لها الانكليز هذا الجميل. ذلك انهم بعد ما اخمدوا هذه الثورة شكرها الحاكم العام في الهند جهاراً في الدربار الذي عقد في ١٥ دسمبر سنة ١٨٦٠ م. ومنحتها الحكومة الانكليزية عدة اوسمة. وبقيت لامارة بهوبال كل الامتيازات التي كانت لها في حين ان كثيراً من الامارات اضاع استقلالهُ نهائيًا باشتراكهِ في تلك الثورة. ولم تكن تحتجب عن شعبها مطلقاً بل كانت تدير حركة الحكومة بنفسها شخصيًا بكل همة. واظهرت اقتداراً عجيباً في ادارة شؤون الامارة مدة ولايتها

وكانت شديدة الحرص جدًّا على حسن سمعة بيتها سمعت مرة ان ابنتها الوحيدة التي تولت الامارة بعدها وهي شاه جهان بيكم قد قابلت في بيت قريب لها احد امراء البيت المالك في دهلي وكان يطلب الاقتران بها. فما كان منها الا انها امرت

(1 Encyclopedia of Islam 1: 711; Griffith's India's Princes: 139; and Buckland's Dictionary of Indian Biography: 40.

بسجنها في غرفتها الخصوصية عدة اشهر بعد ان ضربتها بيدها ضرباً مبرحاً . اما ذلك الشاب المسكين فامرت بوضعهِ في قفص وتعليق القفص على باب القلعة وبقي على تلك الحالة عدة اشهر ولم تشأ ان تطلق سراحهُ حتى توسط الانكليز في ذلك

وفي سنة ١٨٦٣ م ذهبت الاميرة سكندر بيكم للحج في مكة مع كثيرين من اعضاء حاشيتها وتركت ابنها شاه جهان بيكم نائبة عنها في ادارة شؤون الامارة مدة غيابها وعند عودتها الفت كتاباً وصفت فيهِ ما رأتهُ في رحلتها هذه

وفي ٣٠ نوفمبر سنة ١٨٦٨ م توفيت بعد مرض طال زمنهُ مأسوفاً عليها من جميع رعاياها

---

(١٤) (الثالثة) شاه جهان بيكم[1]

من سنة ١٢٨٥ — ١٣١٩ هـ — من ١٨٦٨ — ١٩٠١ م

بعد وفاة الاميرة سكندر بيكم نودي بالاميرة شاه جهان بيكم حاكمة على امارة بهوبال . ولم تكن اقل من والدتها في حسن السياسة حتى كأن هذه الصفات اصبحت موروثة في اميرات هذا البيت

فانها حالما جلست على عرش بهوبال وجدت امامها عدة صعوبات نتجت من طول مرض والدتها وفي غيابها بالحج في مكة فكان عدد القضايا المتأخرة ٤٠٨٦ قضية حتى يئس المتقاضون من انجازها وكان الفقراء يشكون غلاء الحنطة . ومع ذلك فانها شمرت عن ساعد الجد وانجزت جميع القضايا المتأخرة . وخففت غلاء الحنطة بالغاء ضريبة الدخل على واردات الحنطة ورفعت ماهيات الجنود الى غير ذلك

في سنة ١٨٦٩ م ساحت في بلادها لتتفهد حالة الفلاحين بنفسها وتتحقق الشكاوي الكثيرة التي قدمت اليها على موظفي الحكومة . ونشرت اعلاناً بانها مستعدة لسماع كل شكوى تقدم اليها . فمن كان لديهِ شيء من ذلك فليقدمهُ بلا خوف . واظهرت من المهارة والجد وبعد النظر ما فاقت بهِ اعظم الرجال حتى اصبحت امارة بهوبال بفضلها وفضل والدتها افضل امارة بين امارات الهند الوطنية . وكانت قصيرة القامة جداً لا يزيد طولها على طول ولد عادي عمرهُ عشر

(1) Griffith's India's Princes: 199; Keane's Oriental Biographical Dictionary: 364; and Buckland's Dictionary of Indian Biography: 39.

سنوات . ولكنها كانت جيلة الصورة . وصفها كاتب فرنسوي رآها قال :

«ضرب لي موعد للتشرف بمقابلة صاحبة العظمة شاه جهان بيكم قبل مغادرتي بهوبال فلما دخلت قاعة الاستقبال وجدت ابنة صغيرة ظننتها لاول وهلة احدى بنات اشراف البلاط وكنت على وشك ان اخاطبها على هذا الاعتقاد فما كان اعظم دهشتي لما رأيتها وقفت وقالت « انا شاه جهان » ومدت اليّ ساعدها المرصع بالجواهر لمصافحتي . وبعد ما زال عني ما اعتراني من الاضطراب والدهشة لاحظت انها وان كانت قصيرة جداً لكن وجهها جميل وملامحها فتانة ونظرات عينيها حادة» . وقد اعتادت ان تباشر اعمال الحكومة بنفسها يومياً من الساعة ٩ — ١٢ صباحاً ومن الساعة ٣ — ٦ مساء . وكانت تقضي جميع المراسلات بنفسها

ولما توفي زوجها الاول سنة ١٨٦٢ م كانت تستقبل الناس سافرة ولكنها لما تزوجت بعده وزيرها السيد محمد صادق ١٨٧١ م عادت الى استعمال الحجاب

قال عنها السر ليبل غرفن (Lapel Griffin) « ومع انها تدير امور الحكومة من وراء حجاب لكنها تعلم كل صغيرة وكبيرة من اخبار البلاد . وهي بلا استثناء اقدر امرأة في الهند اليوم بالحقيقة ان مقدرتها الطبيعية تفوق مقدرة كثيرين من الامراء الرجال الذين يحكمون اليوم . وهي سريعة الخاطر جداً حتى ان من يخاطبها يجب ان يكون على جانب عظيم من الذكاء ليستطيع مجاراتها في الحديث »

ولم تلد شاه جهان بيكم سوى ابنة واحدة هي اميرة بهوبال اليوم . وتوفيت في ١٦ يونية سنة ١٩٠١ م

---

(١٥) (الرابعة) سلطان جهان بيكم[1] اميرة بهوبال الحالية

من سنة ١٣١٩ هـ = سنة ١٩٠١ م

ولدت هذه الاميرة في ٩ يوليه ١٨٥٨ وتزوجت في حياة والدتها سنة ١٨٧٤ م بالامير احمد علي خان . في سنة ١٨٧٦ م ولدت اكبر اطفالها الامير محمد نصرالله خان . ولما توفيت والدتها في ١٦ يونيه سنة ١٩٠١ م جلست على عرش بهوبال واظهرت من حسن الادارة ما هو مشهور عن هذا البيت

(1) Who's Who 1913 : 167.

وفي بدء الحرب العظمى[1] لما دخلت تركيا الحرب في جانب المانيا وهاج العالم الاسلامي اعلنت عظمتها في دربار امام جميع رعاياها انها ستبقى موالية للحكومة الانكليزية . وانها ستحافظ على العلاقات الحسنة بين بهوبال وانكلترا .وقد قرنت القول بالفعل فارسلت فصيلة من جنودها بقيادة نجلها لمساعدة الانكليز وتبرعت بسفينة مستشفى ايضاً[2]

والذين يعرفونها يقولون عنها انها من اقدر امراء الهند الحاليين واقدر من كثيرين من الامراء الرجال الذين يحكمون في تلك البلاد الشاسعة

(١٦) قاطمة سلطان اميرة قاسموف[3]

من سنة ١٠٩٠ — ١٠٩٢ هـ — ١٦٧٩ — ١٦٨١ م

كان في الجزء المعروف اليوم بروسيا اوربا عدة ممالك اسلامية اهمها مملكة القفجاق الغربية المعروفة في التواريخ الافرنجية باسم (Golden Horde.) . هذه المملكة اسسها باتو حفيد جنكيز خان المغولي الشهير . فانهُ لما اغار جنكيز بتتاره على البلدان وافتتح الامصار من الصين شرقاً الى بلاد المجر غرباً ومن سبيريا شمالاً الى بلاد الهند وايران والعراق جنوباً واسس هو واولادهُ دول المغول العظيمة وقع جنوب شرقي روسيا في قبضة باتو المتقدم ذكرهُ فاسس فيها دولة القفجاق العظمى هذه وذلك سنة ٦٢١ هـ (١٢٢٤ م) . وكانت عاصمة مملكتهِ مدينة سراي التي يدعوها ابن بطوطة « السرا[4] » . وهي على نهر الفولجا بالقرب من استراخان (وابن بطوطة يدعوها الحاج طرخان)

وقد زار ابن بطوطة هذه البلاد في عهد سلطانها محمد اوزبك وهو السلطان الثامن من سلاطين هذه الدولة تزوج ابنة امبراطور القسطنطينية التي سافر معها ابن بطوطة الى تلك المدينة العظمى كما هو مشروح برحلتهِ.وفي الدول الاسلامية في روسيا اوربا خانات القرم الذين كان لهم سطوة كبيرة وتأثير عظيم في تاريخ الروس ثم لما ضعفت دول القفجاق المتقدم ذكرها وذلك في بدء القرن الخامس عشر

(1) The Times History of the War 2 : 331.
(2) The Times History of the War 4 : 242.
(3) Howorth's History of the Mongols 2 : 429 and 438.
(4) ابن بطوطة ج ١ : ٢١٢

للبلاد وسادتها القوضى انقسمت الى دولتين احداهما استراخان واول من استقل بها قاسم خان بن محمود خان وذلك سنة ١٤٦٦ م . والثانية مملكة قازان (وكانت تعرف ايضاً باسم مملكة البلغار العظمى) واول من استقل بها اولدغ محمد بن حسن سنة ١٤٣٧ م . ولما قتل اولدغ محمد المذكور سنة ١٤٤٥ م تولى بعده احد ابنائه وفرّ اثنان منهم الى موسكو خوفاً على نفسهما وهما قاسم ويعقوب . ذلك سنة ١٤٤٦ م. في موسكو حالفا الامير الروسي باسيلي الرابع (١٤٢٥ — ١٤٦٢ م) وخدماه في صفوفه

وفي سنة ١٤٤٩ م غزا سيد احمد خان القفجاق بلاد الروس حتى وصل الى بوخرا Pokhra واسر ماريا زوجة الامير باسيلي فجمع قاسم بن اولدغ محمد من معه من التتار وتعقب الغزاة حتى استرد الاسرى واسترجع الغنائم مما جعل له منزلة خاصة عند الامير باسيلي

وهكذا استمر الاخوان يخدمان الروس في حروبهم المتعددة مع التتار . ثم لم نسمع شيئاً عن يعقوب فاما ان يكون قد مات او ترك البلاد . ولكننا نعلم انه بعد سنة ١٤٥٢ م كافأ الامير الروسي قاسماً ببلدة غورودتس (Gorodetz) على نهر الاوكا من مقاطعة ريازان Riazan مع ارض صغيرة حولها . وهذا اطلق عليها اسمه فصارت تعرف من ذلك الحين باسم قاسموف. واسس بها الامير قاسم بن اولدغ محمد امارة مستقلة تحت حماية الروس واورثها بنيه وبقي نسله حاكماً فيها الى سنة ١٦٨١ م

اما بلدة قاسموف هذه فواقعة الى الجنوب الشرقي من موسكو في مقاطعة ريازان Riazan وهي على درجة ٥٤° ٥٣' من العرض الشمالي و٤١° ٢٩' من الطول الشرقي . وفي سنة ١٦٧٢ م لما توفي سيد برغان بن السيد ارسلان ثالث عشر امراء قاسموف هذه (وكان قد تنصر) تولت الامارة بعده والدته فاطمة سلطانة وتلقب بلقب قيصرة قاسموف فهي الرابعة عشرة من امراء هذه الامارة. وبقيت على كرسي الامارة الى ان توفيت سنة ١٦٨١ م . وهي آخر من ملك في هذه الدول وبعد موتها ضمت روسيا قاسموف اليها نهائيًا

رزق الله منقريوس الصدفي
مؤلف تاريخ دول الاسلام

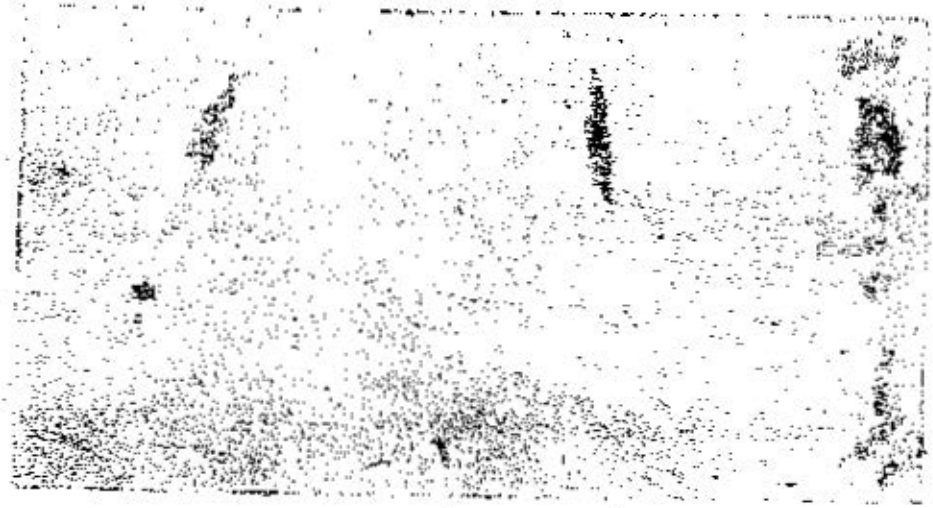

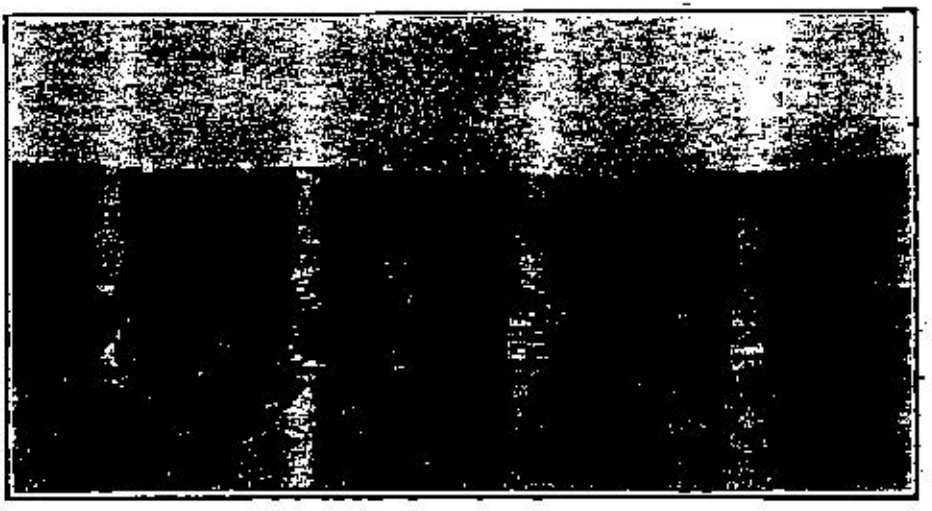

صورة طريق رومانية بين انطاكية وكلس

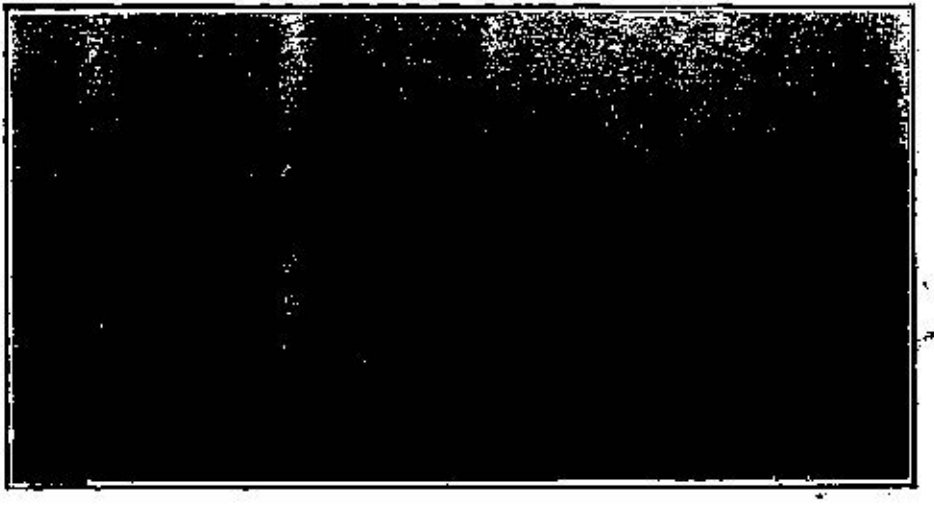

صورة جسر المجدل الى الشمال الغربي من حماه

مقتطف سبتمبر ١٩٢٠

امام الصفحة ١٩٣